● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

مولاي هون علينا

من عائلة ثرية، وأبوه كان أحد الأثرياء الكبار، من عائلة عريقة معروفة في الكويت، وكان هذا الأب من المدمنين على تدخين السجائر، إلا أنه كان لا يترك فرضا من الفروض، وقائما بما أمره به الله، ويحب العمل الخيري، ورجال الدعوة، وله صداقات كثيرة مع رجالاتها في الداخل والخارج. ومن الداعمين الأساسيين للعمل الخيري.

وفي غفلة من الأب، وتركه لهذا الابن للسفر وحده الى دول العالم وهو في سن المراهقة، دون رقيب ولا رفيق، مع إغراقه بالمال، كان أحد أهم الأسباب لانحراف هذا الشاب، ثم الدخول الى عالم المخدرات دون معرفة من الوالد.

ولكن المدمن لا يمكن أن يستر على نفسه، فالمخدر فاضح لصاحبه ولو بعد حين، وعندما دخل هذا الشاب سن الزواج، أرادوا أن يزوجوه لعله يعقل، ولكنه استمر في هذا الطريق، بل زاد، حتى وصل الى درجة الإدمان.

مما اضطر والده وأسرته للاتصال بنا في جمعية بشائر الخير لنجدته مما هو فيه، وذلك بعدما بذل الوالد كل ما لديه من الطرق لإرجاعه الى جادة الصواب، فقد ضربه ووبخه، بل وعزله في جزيرة بعيدة، بالاتفاق مع السلطات، ومع ذلك لم ينفع، وعاد الشاب للإدمان.

قابلنا الشاب، وكان من النوع المؤدب الذي يتأثر بالموعظة، ويقدر الناصح، إلا أنه كان ضعيفا أمام سطوة المخدر، وثقنا علاقتنا معه، ودعوناه الى برامجنا، فكان يتأثر حينا، ويعود للمخدر أحيانا كثيرة.

كان تجار المخدرات يحومون حوله، لا يتركونه أبدا بسبب أمواله، وكان الضغط كبيرا منهم عليه وهو ضعيف جدا أمام إغراءاتهم، حتى دعيت من السجن لإلقاء محاضرة على سجناء الإدمان في عنبر التائبين، فتقدم شاب لي كثيف اللحية، وقال لي: أتعرفني.. فقلت له: لا أُرفك، فقال: أنا فلان، فعرفته حالا، وتمنيت أن يدوم الحال الذي عليه من التوبة، والنور الذي يفطح من وجهه وكان يردد عبارة جميلة فيها دعاء الى الله وهي «مولاي هون علينا» يرددها مع أصحابه التائبين.

وبعد سنتين أفرج عنه بما يطلق عليه «الإفراج المشروط» وهو نظام مستحدث تم الاتفاق عليه بين جمعية بشائر الخير، والنيابة العامة، وإدارة السجن، باستثناء سجين الإدمان في قضايا (التعاطي) عن بقية مدته، إذا نجح في برنامج التوبة، الموضوع من قبل بشائر الخير، وإدارة السجن، ووزارة الأوقاف. وبعد خروجه وانضمامه الى برنامج الرعاية اللاحقة وهو برنامج يبدأ بعد الافراج، وتشرف عليه وزارة الداخلية بفحص المفرج عنهم أسبوعيا للتأكد من خلوهم من المخدر ووزارة الأوقاف بتثقيفهم الثقافة الشرعية، وجمعية بشائر الخير بالإشراف على سلوكهم، وإعطائهم الكثير من الدروس الايمانية، ودورات تنمية المهارات. عاد ثانية الى الحياة، وبدأ أبوه يثق به ثقة كبيرة، وكانت فرحته لا توصف، وكان الأب من فرحته يزورنا في بشائر الخير لحضور دروسنا، وكان يدعو الجميع لولائم الغداء أو العشاء وهو في فرح غامر بسبب توبة ابنه.

واستمر الحال على ذلك، وهذا الشاب من حسن الى أحسن، حتى توفي والده، وقد تأثر كثيرا بوفاته، وعاد الى ضعف إيمانه وعلاقته مع الله رويدا رويدا، خاصة بعد أن دخل في خلاف عميق مع بعض أقاربه، وحاولت الاصلاح بينهما ما استطعت الى ذلك سبيلا، ولكن دون جدوى، فكل منهما كان يصر على موقفه، الى أن تفاقم الخلاف، مما أثر عليه كثيرا، وزاد في ضعفه وضعف ارتباطه بنا، ثم انقطع تماما عنا، ثم جاءت النتيجة الطبيعية لمعظم التائبين من الإدمان ممن ينقطعون عن مصاحبة الصالحين، بأن عاد الى المخدر على استحياء، ثم دخل تارة أخرى في دهاليزه، علمت بذلك، فناديته، وجلست معه على انفراد وبينت له مدى محبتي له، وشفقتي عليه، كشفقة الوالد على ولده، خاصة بعد وفاة والده، وذكرته بالله، وذكرته بما يمكن أن يحدث له من خاتمة غير سارة كالسجن أو الموت، وسألته إن كان يحب لقاء ربه على هذه الحال. تأثر كثيرا، وبكى وضمني الى صدره وهو يبكي، ووعدني بخير. ولكنه ما لبث أن انقطع ثانية عنا، وتوغل أكثر في حياة المخدرات وتعمق الخلاف بينه وبين ذلك القريب، حتى جاءنا الخبر المؤلم، لقد مات فلان، وحزنا عليه حزنا شديدا، ولكن ماذا نملك سوى أن نقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

● الداعية عبدالحميد البلالي

الرجال مواقف

زيد بن الخطاب أسلم واستشهد قبل أخيه عمر ومات والراية مرفوعة في يده

اعتنق الاسلام مع الفئة المؤمنة الاولى التي مسحت يد السماء على قلوبهم بنورها وسناها، مع بزوغ فجر الدين الحنيف ودخل دار الارقم بن ابي الارقم ليتلقى من الرسول ﷺ التعاليم الالهية اولا بأول، ولهذا فإنه من القلة المؤمنة التي بكرت بدخول الاسلام وكانت لا تزيد على عدد اصابع اليدين، واصبحت الآن مليار مسلم، وكان زيد أسن من اخيه عمر بن الخطاب، وانصافا للتاريخ فإن الانقلاب الذي حدث في حياة عمر من الجاهلية الى الاسلام لم يكن فجاءة كما يحسب الكثير من الناس، وانما كان هناك تمهيد إلهي لان يعتنق الاسلام عن حب وثقة، فقد كان عمر يذهب الى الكعبة وهو جاهلي ويدخل رأسه بين استارها ليتسمع الى الرسول وهو يتلو القرآن، وكان يحس بحلاوة القرآن تهزه هزا عنيفا، ولكنه كان يصارع نفسه، الى ان شاء الله ان يعز به الاسلام تلبية لدعوة رسول الله ﷺ، وبدأ حياة جديدة مع اسرته المسلمة، اسرة الخطاب التي كان لها في المجتمع الاسلامي شأن وأي شأن.

زيد اخوه قد مس الاسلام شغاف قلبه وتألق في وجدانه منذ اول لحظة دعاه فيها الرسول ﷺ الى الدين الحنيف، احس زيد ان عبادة الاصنام عمل لا يليق بعاقل ان يأتيه، وان ما يفعله العرب من خطايا وكبائر، كوأد البنات، وسطو القبائل بعضها على بعض، وخطف الصبية وبيعهم في سوق الرقيق، ومعاقرة الخمر، الى ما شاب ذلك من ألوان الفجور الجاهلية، ومما كان يسمع من رسول الله ﷺ المبادئ الالهية التي تتنزل عليه قرآنا حتى سارع بنبذ دين آبائه واجداده، واقبل على الاسلام بقلب المحب الصادق المشوق، وكان لا يفارق مجلس رسول الله ﷺ في دار الارقم بن ابي الارقم، الا ساعات قليلة لممارسة تجارته وقضاء حوائج أهله.

وعلم عمر باسلام زيد فهاج وماج، ولكنه كان يكن لأخيه الاكبر كل اجلال واحترام، فقد كان عمر في شمائله العربية الاصيلة ممن ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ: «خيركم في الجاهلية خيركم في الاسلام»، وكان يوقر اخاه زيدا، فلا يعنف معه، ولا يفكر في ان يبطش به، بل كان رقيقا في معاملته رغم انه كان يغلي من الغضب والحنق مثل المرجل الذي يفور، وكان زيد يبادله شعور المحبة والاحترام رغم ما بينهما من خلاف عقدي، ولكي يظل زيد على دينه وعقيدته، ولكي يحتفظ بعلاقته الاسرية الطيبة مع اخيه عمر، فقد هاجر الى الحبشة مع الذين فروا بدينهم، وكان بوسعه ان يعيش بمكة، لانه من اشراف قريش، واعرق بيوت المدينة التي كرمها الله بالكعبة المشرفة.

ومرت الايام واسلم عمر، واصبحت اسرة الخطاب من الركائز المتينة القوية للدين الحنيف.. وما لبث زيد بن الخطاب ان عاد من مهجره، ولحق برسول الله ﷺ في المدينة، واجتمع شمل الاسرة المسلمة ـ اسرة الخطاب، وبدأ الاسلام ينتقل الى مرحلة الدفاع المسلح عن الدعوة، ودحض خصومها، وجاءت معركة احد، وخرج المسلمون لملاقاة عدوهم، وكان زيد بن الخطاب في الصف الاول من المجاهدين، كان يحمل سيفه وعيناه تتطلعان الى السماء في شوق ومحبة للشهادة، ولم يكن يلبس درعا واقية، كباقي المجاهدين ورآه اخوه عمر على هذه الحالة، فخلع درعه، واعطاها اياه، بيد ان زيدا رفض ان يلبس الدرع وقال لاخيه في ابتسامة راضية: انني اريد الشهادة كما تريد، فترك عمر وزيد الدرع ونزلا الى المعركة، يخوضان معمعتها، ويشمان رائحة الجنة تملأ انوف المقاتلين، وقد ابلى زيد بن الخطاب في يوم احد بلاء حسنا، وتلقى الجراح في صبر المؤمنين، كانت لذة الجهاد تنسيه الألم، وتشغله عن رؤية الدم الذي ينزف منه، ولما انقشع غبار المعركة، وهدأ صليل السيوف، عاد زيد مع رسول الله ﷺ واصحابه الى المدينة، وهو يتأجج حماسة لدخول معركة اخرى وبالفعل ذهب في اليوم التالي مع الرسول الى غزوة حمراء الاسد، ونفسه تتطلع الى الشهادة، والى اللحاق بالابرار الذين استشهدوا في اليوم السابق، وفتحت لهم ابواب الجنان، ليعيشوا في دار الخلود أحياء عند ربهم يرزقون.

وتمضي الايام بالمسلمين جهادا واجتهادا وعملا لا يلين ولا يهدأ من اجل نشر الدعوة والدفاع عنها، ويشهد زيد بن الخطاب جميع المشاهد مع الرسول ﷺ، ولم تتوقف حركته عن الجهاد يوما واحدا، فقد شارك في حروب الردة، وذهب الى اليمامة للقضاء على فتنة مسيلمة الكذاب، وكان يومها يحمل راية المسلمين، ونظرا لشراسة المعركة وضراوة القتال، فقد استشهد كثير من القراء الذين كانوا يحفظون القرآن، وانكشف المسلمون وتراجعوا امام بني حنيفة، وهنا يصيح زيد بصوت يجلجل في اجواز الفضاء، اما الرجال فلا رجال، واما الفرار فلا فرار اللهم اني اعتذر اليك من فرار اصحابي، وأبرأ اليك مما به مسيلمة، وراح يقتحم صفوف بني حنيفة، والراية مرفوعة في يده، حتى غلب عليه الرجال، فاستشهد على اكرم صورة يستشهد عليها المجاهدون، ولما وقعت الراية اخذها سالم مولى بني حذيفة، فقال المسلمون: يا سالم، انا نخاف ان نؤتى من ناحيتك، فقال: بئس حامل القرآن انا ان اوتيتم من ناحيتي.

وحين تلقى عمر بن الخطاب نبأ استشهاد اخيه زيد، حزن حزنا شديدا، وقال: رحم الله اخي، لقد سبقني الى الحسنيين: أسلم قبلي، واستشهد قبلي، وكان يقول دائما: ما هبت الصبا الا وانا اجد منها ريح زيد، وبينما كان عمر يجلس يوما مع متمم بن نويرة يستمع منه الى مرثية قالها في اخيه، اذا بعمر يقول له: لو كنت احسن الشعر لقلت في اخي زيد مثل ما قلت في اخيك، فرد عليه متمم قائلا: لو ان اخي ذهب على ما ذهب عليه اخوك ما حزنت عليه، فقال عمر: ما عزاني احد بأحسن مما عزيتني به.

رضي الله عن زيد بن الخطاب، فقد امضى حياته كلها مؤمنا تقيا ورعا مجاهدا، هاجر الهجرتين، وقاتل المشركين في عهد رسول الله، كما قاتل المرتدين بعد انتقال الرسول الى الرفيق الاعلى، فكانت صحفه كلها مطهرة، وايامه ولياليه مفعمة بالتقوى والخير والبر، وقد لقي الله وملائكة الرحمة تحف من حوله، وعطر الجنان يهب عليه، ورايه الله مرفوعة بيمينه، والسماء مفتحة الابواب لاستقبال روحه الطاهرة، والابرار والصديقون ينتظرونه في غرف الجنان.

روائع القصص

يوكابد أم موسى عليه السلام

أتمت يوكابد رضاع ابنها موسى، ثم سلمته الى القصر الفرعوني ليكون لهم عدوا وحزنا، ولما بلغ اشده اوحى الله اليه بالنبوءة، وآتاه العلم والحكمة، اتجهت انظار المستضعفين المغلوبين الى موسى ليحميهم، مما اثقل كاهلهم من الظلم والآلام.

عاهد موسى نفسه على ان يكون نصيرا لهؤلاء المظلومين، وفيما هو يتجه نحو العاصمة الفرعونية اذ وجد رجلين يقتتلان احدهما عبري من مشايعيه، والآخر فرعوني من اصحاب القوة والسلطان، فسأله مظاهره أن يحول بينه وبين اعتداء الفرعوني، فهم موسى بضرب الفرعوني فكانت القاضية، ثم ندم على فعلته وعدها من عمل الشيطان، واستغفر ربه على ما فرط منه، فغفر له ربه انه غفور رحيم، ولقد كان الغفران نعمة على موسى، وحافزا لرحمته، وداعيا لسلامه، فاستعاذ بالله ان يكون ظهيرا للمجرمين، ولكن موسى تغلبت عليه بشريته فلم يعلق ارادته بارادة مدبر الامر ومصرف الكائنات، اذ اصبح في المدينة خائفا يترقب، فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه، فرماه موسى بالغواية والضلال، ولكنه اندفع الى مظاهرته، فظن ان موسى يقصد قتله، فتقدم اليه مسترحما قائلا: يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من الصالحين، فلم يكد يسمع الفرعوني هذا الاتهام الصريح، وقد كان قومه في حيرة من امر قتيل الامس لا يعرفون قاتله، حتى وافاهم واخبرهم بخبر موسى، فتألب القوم يبحثون عن موسى ليمزقوه شر ممزق، لكن رحمة الله قريب، اذ جاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ثم نصحه بالخروج من المدينة الى حيث يشاء رب العالمين.

ذنوب كبيرة

قطع الطريق

قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

قال الواحدي رحمه الله: معنى (يحاربون الله ورسوله) يعصونهما ولا يطيعونهما، كل من عصاك فهو محارب لك (ويسعون في الارض فسادا) اي: بالقتل والسرقة واخذ الاموال وحمل السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله، وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي.

قوله (ان يقتلوا) الى قوله (او ينفوا من الارض) قال الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما او أدخلت للتخيير ومعناها الاباحة، ان شاء الامام قتل، وان شاء صلب وان شاء نفى، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد، وقال في رواية عطية: او ليست للاباحة انما هي مرتبة الحكم باختلاف الجنايات، فمن قتل واخذ المال قتل وصلب ومن اخذ المال ولم يقتل قطع، ومن سفك الدماء وكف عن الاموال قتل، ومن اخاف السبيل ولم يقتل نفي من الارض، وهذا مذهب الشافعي رحمه الله، وقال الشافعي ايضا: يحدّ كل واحد بقدر فعله، فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه، كراهية تعذيبه، ويصلب ثلاثا ثم ينزل، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت، فإن عاد وسرق ثانيا قطعت رجله اليسرى، فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى فإن عاد وسرق قطعت رجله اليمنى، لما روي عن النبي ﷺ قال في السارق: ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله، ثم ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله، ولأنه فعل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة.

رسائل الرسول

كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني

حامل الكتاب

هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن اسد بن صهيب بن مالك بن كثير ابن غنم بن دودان بن خزيمة الأسدي حليف لبني عبد شمس من قريش، يكنى: أبا وهب.

أسلم قديما وهاجر الى ارض الحبشة الهجرة الثانية، وعاد الى مكة كما بلغ المهاجرين ان اهل مكة اسلموا ثم هاجر الى المدينة، وشهد بدرا هو واخوه عقبة بن وهب، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب رضي الله عنه إلى الحارث بن ابي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابا.

قال شجاع: فأتيت إليه وهو بـ «غوطة» دمشق، وهو مشغول بتهيئة الإنزال والألطاف لقيصر الروم (هرقل) وهو آت من حمص إلى إيلياء (القدس) فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، نقلت لحاجبه: إلى رسول رسول الله ﷺ إليه، فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه وكان روميا اسمه (مُرَيّ) يسألني عن رسول الله ﷺ ، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله ﷺ وما يدعو إليه، فيرق حتى يغلبه البكاء، ويقول: إني قد قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي ﷺ بعينه، فأنا أؤمن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث ان يقتلني، قال شجاع: فكان هذا الحاجب يكرمني، ويحسن ضيافتي.

قال شجاع رضي الله عنه فخرج الحارث يوما فجلس ووضع التاج على رأسه، فأُذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ .

الكتاب

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شَمِر، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك».

قال شجاع: فلما قرأ الكتاب رمى به، وقال: من ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس.

فلم يزل جالسا يعرض حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى!

وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر ألا تسير إليه، وألّه عنه ووافني بإيلياء (القدس).

يقول شجاع: فلما جاءه جواب كتابه، دعاني فسأل: متى تريد ان ترجع إلى صاحبك؟ فقلت: غدا، فأمر لي بمائة مثقال ذهب. ووصلني مُرَيّ الحاجب سرا وأمر لي بنفقة وكسوة وقال: أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام.

فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته فقال: «باد ملكه» وأقرأته من مُرَيّ السلام وأخبرته بما قال، فقال رسول الله ﷺ : «صدق».

ومات الحارث بن شَمِر عام الفتح.

● سيد الرفاعي